الفصل الأول

الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية للقائد الصغير

" إن تربية الأبناء تجربة ممتعة، لكنها متعبة ومرهقة أيضا. كما أن مواجهة التحديات الناتجة عن ذلك، تعد مهمة ضخمة".

كريغ بيرس- خبير المعالجة الأسرية

مقدمة

وبدايةً لا خلاف بين علماء الاجتماع والتربية وعلم النفس حول أهمية دور الأسرة في تربية الطفل وتنشئته، فالأسرة هي البيئة الثقافية الأولى التي تستقبل الطفل، وتطبعه بما تشاء من طباع ترى أنها تكفُل له التقبل الاجتماعي، وتغرس فيه ما تشاء من قيمٍ ترى أنها تكفُل له السواء النفسي والاستقرار الاجتماعي والحياة السعيدة.وتتكون الأسرة في حدودها الضيقة من الزوج والزوجة وطفل أو أكثر، ويكون أساس العلاقات التي تربط أفراد الأسرة، قائما على الصراحة والود بشكل يتيح الفرصة أمام كل فرد من أفرادها أن يعبر عما يريد بصراحة.

فطالما ملك الطفل سلامة الأعضاء – باعتبارها الأساس الفسيولوجي الذي يمكن الطفل من التلقي – فإنه يكون بهذا مؤهلاً إلى اكتساب ما نشاء، ويصبح (صناعة أسرية) وذلك من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والنفسية التي تضعها له الأسرة رغبة منها في صياغة شخصيته على نحو ما.

وحينما نتحدث عن القائد الصغير، فإن معظم الباحثين يعتبرون الأسرة هي الأساس في تكوينه، وإيجاد خصائص ومهارات القيادة لديه، وهم يعتبرون أن السنوات السبع الأولى هي السنوات الأكثر تأثيراً على تكوين مهارات الطفل وتنميتها، وغرس جوانب القيادة والاستعدادات اللازمة لها.

ومن هنا تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية المسئولة عن تربية الأولاد وضبطهم، لأنها اتحاد تلقائي يتم نتيجة الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري واستمرار الوجود الاجتماعي.

أولا: مفهوم الأسرة

الأسرة في اللغة

الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، وتطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسر، وكلمة الأسرة لها صلة وثيقة بحياة القبيلة، وحياة البداوة، وهي تعني مفهوم الحماية والنصرة.

الأسرة في الاصطلاح

الأسرة هي الوحدة الأولى للمجتمع وأول مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الطفل اجتماعيًا ويكتسب منها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه، وهي رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب، على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة.

ثانياً: أهمية الأسرة في المجتمع

وتبقى الأسرة النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل مع أعضائها وجهاً لوجه ويتوحد مع أعضائها ويعتبر سلوكهم سلوكاً نموذجياً وللعلاقات الأسرية الأثر الأكبر في التنشئة الاجتماعية سواء علاقة الوالدين مع بعضهما وعلاقة الوالدين مع الأبناء وكذلك علاقة الأخوة فيما بينهم، فالسعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يخلق جواً يساعد على نمو الطفل وتكوين شخصية متكاملة ومتزنة، والعلاقات السوية بين الوالدين تؤدي إلى إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسي وإلى توافقه الاجتماعي.

والأسرة جماعة اجتماعية أساسية دائمة، ونظام اجتماعي رئيسي، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية، وبالتالي، فإن نظام الأسرة هو الأحكام والمبادئ والقواعد التي تتناول الأسرة بالتنظيم، بدءًا من تكوينها ومرورًا بقيمها واستقرارها وانتهاء بتفرقها، وما يترتب على ذلك من آثار. لذا تلعب الأسرة دوراً مهما في المجتمع يتلخص في الآتي:

1- إنها أول جماعة إنسانية يتكون منها البنيان الاجتماعي، وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشاراً.

2- تعتبر الأسرة الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها، فهي تشكل حياتهم وتضفي عليهم خصائصها وطبيعتها، وبذلك فهي مصدر العادات والعرف والتقاليد وقواعد السلوك.

3- تعد الأسرة مصدرا هاما لإشباع حاجة الطفل من الأمان والطمأنينة والعلاقات الوجدانية، وهي مصدر الرضا للطفل لأنه يشبع معظم حاجاته من داخلها، وهي تشكل بالنسبة إليه أولى مظاهر الاستقرار والاتصال في الحياة.

4- تقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لتساعد الطفل على أن يكون اجتماعيا.

5- تقوم على أوضاع يقررها المجتمع، هناك أوضاع يسمح المجتمع لأفراد الأسرة بالالتزام بها ؛ فمن خالفها يقابله المجتمع بقوة وعنف.

6- الأسرة بوصفها نظام اجتماعي يؤثر فيه النظم الاجتماعية الأخرى وتتأثر بها.

ثالثاً: الأسرة تنظيم اجتماعي

تعتبر الأسرة جماعة ذات تنظيم داخلي خاص، كما أنها وحدة في التنظيم العام للمجتمع. وهناك تقسيمات متعددة للأسرة من بينها: -

1- الأسرة البسيطة "الأسرة النووية"

تمتاز أسرة النواة بصغر حجمها، حيث تتكون عادة من زوج وزوجة وأبنائهما غير المتزوجين، ولا يحدث إلا نادرا وفى ظل ظروف استثنائية أن يعيش أحد الأبناء المتزوجين مع والديهم. وتقوم هذه الأسرة على إشباع الحاجات العاطفية والمادية لأفرادها وتهيئ المناخ الاجتماعي والثقافي الملائم لرعاية وتوحيد وتنشئة الأولاد وبذلك فهي تقتصر على الزوجين والأبناء. ويرى كثير من الباحثين في علم الاجتماع الحضرى أن هذا النموذج من الأسرة هو الذي يتزايد انتشاره في المجتمعات الحضرية.

2- الأسرة الممتدة

هي جماعة تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما وغيرهم من الأقارب العم والعمة الجد والجدة...الخ. أي تتكون من عدة أسر نووية ترتبط فيما بينها بروابط القرابة، وهؤلاء يقيمون في نفس المسكن يشاركون في حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت رئاسة الأب الأكبر.

3- الأسرة المركبة

نموذج أسرى يصاحب نظام تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج حيث تتحد أسرتان نوويتان أو أكثر عن طريق الزوج المشترك أو الزوجة المشتركة.

من أبرز مظاهر التغير في البناء الاجتماعي للأسرة نجد:

1- التحول التدريجي من الأسرة الممتدة إلى الأسرة المسماة "نووية" التي تتكوّن من الزوج والزوجة والأبناء فقط، وخاصة في المدن، ولكن الظاهرة بدأت تنتشر في الريف أيضا منذ عقود.

2- مع ازدياد تكاليف الحياة العصرية وصعوبات الاستجابة للحاجيات المتجددة، والرغبة الشديدة في توفير الحياة الكريمة للأسرة: من مأكل وملبس وتعليم ورقي اجتماعي ... شهدت الأسرة تغيرا كبيرا في القيم والاتجاهات المتعلقة بالإنجاب، مما أدى إلى تناقص تدريجي في حجم هذه الأسرة وعدد الأطفال.

3- لقد تحوّلت وظيفة الأسرة من الإنتاج إلى الاستهلاك مع التقدم التقني، وقد أدى ذلك إلى تغير في وظائف الأسرة وتعديلات في مكانتها في المجتمع، ونفس الشيء حدث في مجال التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية، حيث تشاركها مؤسسات نظامية أخرى هذه المهمة، فأصبحت الروضة ملجأ للأسرة في تحميل هذه المؤسسة مسؤولية استكمال مختلف الجوانب لرعاية الأطفال عوض الأسرة وذلك طوال اليوم نظرا لانهماك الوالدين في مهنتهما لكسب المال.

4- يعد حصول المرأة على فرصتها في التعليم والعمل وتحمّل الأعباء مع الرجل أوجد أنماطا جديدة من الأدوار والعلاقات داخل الأسرة، مما أدى إلى تغير مركزها داخل الأسرة، ومن هنا حدث تغير في دور كل من الزوج والزوجة، بحيث يقوم الأول ببعض الأدوار التي كانت مسندة للمرأة (تنظيف البيت، الاهتمام بمطالب الأطفال في الغذاء والملبس والعلاج..) كما تقوم الثانية بأدوار كانت مسندة للرجل (شراء لوازم البيت، الاتصال بالغير، وقضاء شؤون إدارية..). هكذا أصبحت الأدوار غير موزعة حسب الجنس، ولكن حدث تداخل فيها بحيث يمكن أن يقوم كل من الزوجين بنفس الأدوار وذلك حسب الوقت والإمكانيات المتاحة، وأصبحت أغلب الأدوار مزدوجة.

5- وهناك بعض مظاهر التحضر الأخرى مثل التحرر النسبي للأطفال من سلطة الأب، حيث حل التشاور مكان الأمر والنهي، بحيث تتدخل الأم كطرف مساو للزوج في التوجيه والإرشاد والتربية.

رابعاً: خصائص الأسرة الحالية

من خصائص الأسرة الحديثة – التي لها أهمية في عملية تنشئة وإعداد الطفل القائد، وأنماط التفاعل ومواجهة المشكلات النفسية والاجتماعية للطفل –، ما يلي:

1- فهي صغيرة العدد ومحدودة النطاق.

2- أصبحت تعتني بتنظيم الناحية الترويحية المعنوية مثل تنظيم أوقات الفراغ واستغلال نشاط الأفراد لما يعود على المجتمع عامة والأسرة خاصة بالفائدة والعناية بالفنون وتهذيب الأذواق.

3- كما تعتني بمظاهر الحضارة والكماليات عن طريق الاهتمام بالمنزل على بساطته والاهتمام بشؤونه والتظاهر بكل هذه الأمور.

4- كما تكون مستقلة في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤونها دون تدخل الأقارب إلا إذا كان بطلب من أفراد الأسرة أنفسهم.

خامساً: أنواع الأسر

1- الأسرة النابذة

هي الأسرة التي يكون فيها الطفل غير مرغوب فيه من أحد الوالدين أو كليهما، فلا يتلقى التربية والرعاية والانتباه الكافي، في هذه الأسر يسيطر الوالدان على الابن ويحقدان عليه هذا ما يعكس تصرف هذا الابن وسلوكياته التي تكون غير اجتماعية وعدوانية.

2- الأسرة القابلة الراضية

هي الأسرة القابلة الراضية والمتفهمة على وجود طفل فيها، ونجد الطفل في هذه الأسرة يمثل مكانة ويصبح محل اهتمام من طرف والديه ويترعرع في جو مليء بالحب والحنان والعطف.

سادساً: وظائف الأسرة

تقوم الأسرة بدورها في تكوين شخصية الطفل وإكسابه عادات واتجاهات ومعتقدات المجتمع الذي تنتمي إليه. فالأسرة تقوم بتزويد الطفل بمختلف الميزات أثناء سنوات تكوينه، وهي تمثل أكبر قوة اجتماعية تنمي الشعور بالألفة والمحبة وحب الانتماء للأسرة والمجتمع. فإن عملية الاتصال داخل الأسرة تنشط انتقال العادات والاتجاهات من الآباء إلى الأطفال وتؤثر تأثيرا دائما وعميقا في تكوين شخصية الطفل والمراهق.

وتأسيسا على ما سبق، تعد الأسرة مصدرا أساسيا للقيم الاجتماعية، التي تغرسها في الطفل الذي يغرسها بدوره في الأجيال اللاحقة ويتصرف على أساسها في خدمة المجتمع أو تغييره حسب ما تهدف إليه تلك القيم، فيتبنى قيم الأسرة وكل عاداتها وتقاليدها وبالتالي تطبعه بطابعها الخاص. ويكون ذلك عن طريق التّنشئة الاجتماعيّة، الوظيفة الرّئيسة لها.

وتتعدد وظائف الأسرة كما يلي:

الوظائف الاجتماعية للأسرة

تقوم الأسرة بالتطبيع الاجتماعي عن طريق تنمية العواطف الاجتماعية في الصغر والمحافظة عليها في الرشد. كما تعتبر الأسرة مؤسسة لنقل الثقافة إلى الأعضاء. وعن طريقها يكتسب الطفل خبراته في المشاركة الاجتماعية واتجاهاته نحو تحقيق المركز الاجتماعي. فالأسرة تمارس وظيفة الإدماج في المجتمع وتساعد في وضع الأطفال في مراكزهم التي تحكم تفاعلهم مع الآخرين.

وتعتبر الأسرة من أدوات الضبط الاجتماعي الهامة التي تحقق التجانس، فعندما ينمي الطفل إدراكه الذاتي فإن ذلك يجعله يبني معتقداته وميوله. فالطفل الذي ينعزل عن الناس في غرفة مظلمة لا يعني ذلك أنه بقي لوحده جسدا وفكرا، لأن مضمون ما يفكر فيه نتاج ما غرسته الأسرة والمجتمع فيه، ومن هنا فالمكونات الفكرية للقائد الصغير هي نتاج المكتسبات الثقافية والمعرفية والسلوكية التي نقلت إليه من الأسرة والمحيطين به.

ومن الأسباب التي تجعل للأسرة هذه الأهمية الإستراتيجية في عملية التطبيع الاجتماعي ما يلي:

1- تقوم الأسرة بتزويد الطفل بمختلف الخبرات أثناء سنواته التكوينية، أما المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمدرسة فيبدأ دورها في مرحلة لاحقة. وتتوقف اتجاهات الطفل بدرجة كبيرة على العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة.

2- تعتبر الأسرة من أهم العوامل الثابتة في حياة الطفل، وتمثل أكبر قوة اجتماعية يمكن أن تؤثر في الفرد، بينما نجد المثيرات الاجتماعية الأخرى أقل تأثيرا.

3- تعتبر الأسرة من أكثر الجماعات الأولية تماسكا ومداومة، ولذلك تؤدي إلى نمو الألفة والمحبة والشعور بالانتماء بين أعضائها. كما تتيسر فيها عمليات الاتصال وتنشط عملية انتقال العادات والقيم والاتجاهات من الآباء إلى الأولاد.

4- يتواجد أفراد الأسرة في وحدة اجتماعية تقوم بدور معين في حياة المجتمع ومكانة الطفل فيه تحددها بصفة أساسية مكانة الأسرة وثقافتها، ولذلك تباشر الأسرة أكثر من أي جماعات تأثيرا دائما مباشرا وعميقا في المضمون الثقافي – بما فيه العادات والاتجاهات والخبرات الاجتماعية – التي يتفق على ترسيخها لدى الطفل.

الوظائف التربوية للأسرة

لا أحد ينكر أهمية الدور الذي تقوم به علاقات الطفل مع الكبار في تكوين شخصيته وخلقه، كما يكتسب الطفل عادات واتجاهات ومعتقدات الجماعة التي ينتمي إليها خلال اتصاله بغيره من الأشخاص. وتعتبر رعاية الأم للطفل من خلال مداعبته وإطعامه وتقديم الخدمات المختلفة له تعتبر بداية تكوين العلاقات الاجتماعية.وشعور الطفل بالمثيرات والسلوكيات الاجتماعية الذي نطلق عليه اسم " الحب ".

ولقد تبيّن أن الطفل الذي يلتحق بمؤسسات الإيواء مع توافر الرعاية المادية وإشباع حاجاته الجسمية، لا ينجح في حياته ما لم تتوفر له الحاجات النفسية والاجتماعية التي تحدد في المواقف الطبيعية اتجاهات الأم نحو طفلها.

وقد تبيّن من دراسة مقارنة لجماعة من الأطفال المراهقين عاشت في مؤسسة داخلية وأخرى عاشت في كنف أسر حاضنة، أن أولئك الذين عاشوا في المؤسسات كانوا أقل ذكاء وأضعف في مهاراتهم اللغوية، وأقل قدرة على تكوين علاقات اجتماعية إيجابية مع الأشخاص الآخرين، كما كانوا أكثر تعرضا للاضطرابات النفسية والمشكلات الشخصية.

وطالما كانت علاقات الطفل الاجتماعية محدودة بجماعته الأولية (الأسرة) فلا مناص من تقبل أحكامها، فالطفل الذي ينعته أبواه بالسوء والغباء وبأنه أقل من الأطفال الآخرين لا يملك سوى الرضوخ وتقبل هذا الحكم ويتصرف تبعا لذلك. وتبدو نتيجة ذلك في الشعور بالنقص الذي قد يتطور إلى الحالات من المرض النفسي. وعلى العكس، فإن الطفل الذي يتلقى تقديرا مبالغا فيه، فقد يعتنق هذا الحكم ويتمسك به ويظن أنه أسما منزلة من الأطفال الآخرين، ويتصرف في ضوء فكرته عن نفسه ؛ وعندما يتصل بعلاقات مع الجماعات الخارجية، التي تعكس صورا مغايرة لذاته سوف يحاول الانسحاب إلى البيئة الأكثر جاذبية وأمنا ويتجه نحو جماعته التي تخصه بالإعجاب والتقدير، ويتحاشى الجماعات التي تراه متهورا.

أما إذا كانت معاملة الأبوين موضوعية ومعتدلة – لا خشونة ولا ليونة مفرطة – فإن اتجاهات المحيط الاجتماعي الخارجي لن تختلف كثيرا عن المعاملة التي تعوّد عليها الطفل،

ومن ثمة يتمكّن من الانسجام والاندماج مع فئات الأطفال الخارجية ويتفاهم معهم وبالتالي يحدث التكامل بين ما يتلقاه في الأسرة وما يجده عند الأطفال الآخرين من سلوكيات وعادات وقيم.

الوظائف النفسية للأسرة

عندما يقول شخص "إنني بين أهلي" فهنا يعترف بأنه يوجد ما هو أكثر من مجرد النوم والطعام. وتتضمن هذه العبارة شعورا بالأسرة وأنه بين أهله، لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء الروابط الانفعالية، والوحدة الأسرية تعلب دورا بارزا في نمو الذات وتحافظ على قوتها، بالإضافة أن الأسرة بمثابة عالم صغير يرتبط بروابط وثيقة العلاقات الشخصية المتبادلة، لا يمكن أن تتوفر بمثل هذه الدرجة في بيئة خارج الأسرة.

إذا كانت الحاجة إلى الاستقرار، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الاطمئنان، والحاجة إلى لعب دور ضمن جماعة، والحاجة إلى الانتماء... لا يمكن أن تشبع إلا في كنف الأسرة، فكيف يمكن أن تُعوض الأسرة ببيئة أخرى بديلة، ونطلب من هذه البيئة أن تعلب نفس الوظائف ؟ ثم إن هذه الحاجات فطرية في أغلبها؛ ومعنى ذلك أنها ضرورية لتنشئة الطفل تنشئة نفسية واجتماعية سليمة، لهذا فإن الدور الأساسي الذي تلعبه الأم مع طفلها لا يكمن أن يكون إشباعا ماديا فقط بقدر ما يمتزج هذا المادي مع إشباع آخر يتمثل في الإشباع النفسي والاجتماعي.

هناك بعض الاحتياجات لا يمكن أن يشبعها الطفل إلا في ظل الحياة الاجتماعية. فالطفل بحاجة على الشعور بالأمن والاحترام والتقدير وهي احتياجات نفسية لا نجد مجالا لإشباعها سوى عن طريق الجماعات التي ينتمي إليها الفرد الأسرة في قمة الجماعات.

فالأسرة توفر لأطفالها علاقات الاهتمام والتكافل والتضحيات والأمن، وهي عناصر تساهم في تهيئة جو من الصحة الأسرية.

إن طمأنة الطفل في الأسرة وخلق جو من الإشباع النفسي يخلق من الطفل إنسانا متزنا ومستقرا وشاعرا بالانتماء الأسري ويعكس صورة ايجابية على الإحساس بالمشاعر الولاء للمجتمع الخارجي، وأن نجاح الأسرة في تهيئة الجو المناسب للطفل يتوقف على مدى ما يوفره الوالدين لأبنائهم في حياة الأسرة من تجاوب وعلاقات طيبة كزوجين مما يؤدي إلى تهيئة جو من الصحة النفسية السليمة للأبناء.

سابعا: الأسرة والتنشئة الاجتماعية للقائد الصغير

تعرف التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

وبشيء من التفصيل فالتنشئة الاجتماعية هي:

- العملية التي يتحوّل عن طريقها الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
- هي عملية هي عملية التفاعل التي يتم خلالها تكيف الفرد مع بيئته الاجتماعية وتشكيله ليتمثل معايير مجتمعه.
- وهي عملية نقل الثقافة من الكبار إلى الصغار.

وتسهم أطراف عديدة في عملية التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمسجد والرفاق وغيرها إلا أن أهمها الأسرة بلا شك كونها المجتمع الإنساني الأول الذي يعيش فيه الطفل، والذي تنفرد في تشكيل شخصية الطفل لسنوات عديدة من حياته، وتعتبر حاسمة في بناء شخصيته؛ ومن ثم فهي التي تشكل وجدانه الاجتماعي والثقافي وترسّخ فيه قيما وعادات وتقاليد وسلوكيات اجتماعية.

ولما كانت عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلم، فإنها مثل كل عمليات التعلم تكون أبعد أثرا إذا ما تمت في الطفولة المبكرة، لما عُرف عن الأطفال في هذه المرحلة من قابلية للتعلم وثبات ما يتعلمونه في سلوكهم المستقبلي وفي نمط الشخصية التي تتكون وتتبلور في السنوات الأولى من العمر. إذ تزود التنشئة الاجتماعية الفرد بالمهارات والخبرات اللازمة للعيش في جماعة إنسانية والتكيف لمطالبها والتوافق مع قيمها ومعاييرها. وتساعد هذه التنشئة على بناء الشخصية وتكوين مفهوم للذات ولعب الأدوار وتحمّل المسئولية.

كما يترتب عن تعرض الطفل لمتغيرات التنشئة الاجتماعية اكتسابه لقيم واتجاهات الوالدين ومعاييرهم السلوكية النابعة من الثقافة التي ينتمون إليها، ويعتبر ذلك بداية لتكون الضمير (الأنا). فالطفل يلاحظ ويقلد ويتوحد مع الوالدين ويكوّن حكمه الأخلاقي في البداية بسيطا يتلخص في "الخطأ " و"الصواب" من وجهة نظر الآباء التي تصبح فيما بعد من خلال ميكانيزم "التقمص" و"التوحد" وجهة نظره هو أيضا ويطبقها على سلوكه. وتدريجيا يجري إدماج العديد من الأحكام (خوفا من العقاب أو رغبة في التشبه بالنموذج الذي يتوحد معه)، بحيث تشكل في النهاية نظاما منتظما ذاتيا يغنيه، ولو جزئيا، عن الأوامر التي تصدر من السلطة الخارجية، وهذا ما يسمى بالضمير.

نظريات التنشئة الاجتماعية

من أهم نظريات التنشئة الاجتماعية ما يلي:

نظرية تشارلز كولي- الأنا في المرآة

يؤكد **كولي** على أهمية التفاعل الاجتماعي بين الفرد وبيئته الاجتماعية، الذي يؤدي إلى تكوين ذات خاصة به مختلفة عن الآخرين.

يعتبر **كولي** الناس الذين يتصل بهم الطفل مرآة عاكسة لتصرفاته تساعده على بناء شخصيته. يستوعب الطفل رأي الآخرين فيه ويتحول إلى مركب مهم في هويته. إن الإنسان حسب كولي ليس ما يعتقده هو عن نفسه وليس ما يعتقد الآخرون عنه بل ما يدركه أن الآخرين يعتقدون عنه.

يتم تطور الذات حسب كولي على ثلاث مراحل وهي:

- نفهم كيف ينظر الآخرون إلى سلوكنا (مظهرنا في نظر الآخرين).
- نفهم كيف يحكم ويقيم الآخرون سلوكنا (كيف ينظر إلينا الآخرون).
- نقيم سلوكنا حسب رد فعل الآخرين عليها (نشعر بالفخر أو بالخجل).

بعبارة أخرى: يفهم الفرد نفسه من خلال شعور الآخرين اتجاه سلوكه فإذا تصورت أن بعض الأشخاص المهمين في نظري يشعرون بالرضا عن سلوكي فسأكون راضياً وأشعر بالفخر في نفس السلوك وإذا تصورت أنهم يشعرون بعدم الرضا عن سلوكي عندها أشعر بالخجل ولن أستمر في نفس السلوك.

فالتصور العقلي وسيلة عقلية يمكن من خلالها أن يقوم الطفل / القائد الصغير باسترجاع أو استحضار الأحداث والخبرات السابقة، كما يمكنه التعديل أو التغير وإنتاج صور وأفكار جديدة.

ويعتبر **التصور العقلي** مهارة نفسية أو مهارة عقلية يمكن تعلمها واكتسابها وإتقانها من خلال التمرين والممارسة بما يفيد تطوير الأداء ومواجهة الضغوط.

اعتقد كولي أن للأسرة تأثير كبير على تطور الذات عند الطفل حيث ينتبه الطفل إلى ردود فعل والديه على سلوكه ويعرف ما يتوقع منه أهله وكيف يحكمون على تصرفاته فيحاول أن يكون ما يعتقده أهله عنه.

نظرية هربارت ميد – السلوك الاجتماعي

يعتبر ميد مؤسس نظرية التفاعل الرمزي وأطلق على نظريته اسم السلوك الاجتماعي، ويؤمن بتأثير البيئة على الفرد وأهتم بالتفكير الداخلي بعكس السلوكيين الذين اهتموا بالسلوك الخارجي للفرد. لقد أهتم بشرح طرق تعاطي الفرد مع الرموز والمعاني المختلفة التي تنقلها اللغة التي تفسر تكوين الأنا.

تتطور الذات عند ميد على ثلاث مراحل وهي:

- **مرحلة تقليد الحركات والأحداث:** تكون هذه المرحلة حتى عمر ثلاث سنوات فيها

لا يميز الطفل بين أدواره وأدوار الآخرين. يكون الطفل مفتقراً إلى اللغة والإدراك والوعي الذاتي فيقلد حركات لا يعرف معناها مثلاً إمساك جريدة أو سماعة الهاتف أو محاولة إدخال المفتاح في قفل الباب.

- **مرحلة اللعب (أخذ الدور)**: بعد عمر ثلاث سنوات يبدأ الطفل بأخذ أدواره من خلال لعبة الأدوار حيث يقوم بأدوار أشخاص مهمين بالنسبة له أثناء اللعب مثل دور الأب، الطبيب، المعلمة، الخ. يتبنى الطفل في لعبة الأدوار موقف الآخرين منه وينظر إلى نفسه كما ينظر إليه الآخرون ويخاطب نفسه كما تخاطبه أمه. في هذه المرحلة يتم اكتساب اللغة من أجل الاتصال بالآخرين وبدون اللغة لا يتكون الذهن عند الفرد، ويتصور الولد توقعات الآخرين المهمين وهم الوالدين، الأقارب، الجيران ومعلميه.
- **مرحلة اللعبة**: فيها يتعلم الطفل تذويد توقعات الآخرين عموماً- عن طريق القوانين المحددة حين يكون الطفل قادراً على الأخذ بعين الاعتبار مواقف جميع المشتركين في لعبة العلاقات بين الأدوار المختلفة.

يقسم ميد الذات الاجتماعية عند الفرد إلى قسمين:

- **الذات**: هي مجموع ردود فعل الآخرين التي تتحول إلى جزء من عالم الطفل وتؤثر على فعالياته. يفهم الذات المعايير، الحاجات والتوقعات الاجتماعية منه ويشكل جدار خارجي للأنا.
- **أنا**: تمثل الميول التلقائية للطفل مثل الغرائز فهو جزء الذات العفوي غير المُجتَمع لا يخضع للتأثير الخارجي. مثلاً: إذا تلقى الطفل ضربة فإن الأنا يدفعه عفوياً إلى البكاء بينما الذات هي التي تدفعه إلى حبس دموعه والتحمل لأنه استوعب المعيار الذي يقول بأن الأطفال الكبار لا يبكون.

النظرية الوظيفية في التنشئة الاجتماعية

ترى هذه النظرية أن التنشئة الاجتماعية عملية يتعلم من خلالها الطفل القيام بأدواره الاجتماعية من خلال معرفة الأدوار والمراكز والمعايير الاجتماعية لينخرط الطفل في الأجهزة الاجتماعية ويساهم في استمرارها.

تنص هذه النظرية بأنه **على المجتمع تعليم الأولاد أدوار الكبار وتعليم الصغار ملائمة أنفسهم لمطالب المجتمع** الذي يعرض عليهم مطالب في شتى المجالات: في المجال الاقتصادي (تعلم مهنة مفيدة)، في المجال السياسي (المشاركة في النظام الديمقراطي) وفي المجال الاجتماعي (إقامة علاقات مع أبناء نفس الجيل).

تنبع التنشئة الاجتماعية من حاجة المجتمع للمحافظة على النظام الاجتماعي عن طريق التأكيد على قيمه ومعاييره وقواعد السلوك المتعارف عليها.

أهم أهداف التنشئة الاجتماعية

1- تفهم وإدراك الوالدين ووعيهما بحاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه وعلاقته بغيره من الناس.

2- تعليم الطفل المهارات التي تمكنه من الاندماج في المجتمع، والتعاون مع أعضاءه والاشتراك في نواحي النشاط المختلفة وتعليمه أدواره، ما له وما عليه، وطريقة التنسيق بينهما وبين تصرفاته في مختلف المواقف، وتعليمه كيف يكون عضواً نافعاً في المجتمع وتقويم وضبط سلوكه.

3- بلورة الدور الجنسي للطفل، أي تنمية السمات السلوكية التي تتناسب مع جنسه، فيكتسب الولد صفات الذكورة والبنت صفات الأنوثة.

4- تهدف التنشئة الاجتماعية حسب منهج التفاعل الرمزي إلى تطوير شخصية الفرد وبلورة هويته أما المنهج الوظيفي يركز على القوى الاجتماعية الفاعلة في الثقافة والوظائف الاجتماعية التي على التنشئة الاجتماعية القيام بها.

توجد ثلاث وظائف أساسية للتنشئة الاجتماعية وهي:

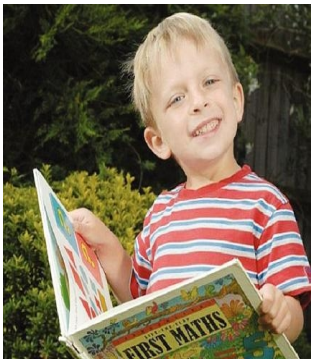

1- **تعليم الثقافة للجيل القادم**: تعمل التنشئة الاجتماعية على نقل الثقافة من جيل إلى آخر بواسطة وكلاء التنشئة، لذلك نرى كيف أن ثقافة معينة تحافظ على خصائصها الثقافية طوال أجيال كثيرة. يرى النهج الوظيفي أن تعليم الثقافة للجيل القادم يضمن الاستمرارية واستقرار النظام الاجتماعي وأن مركبات الثقافة التي تبقى من جيل لآخر هي التي تعود بالنفع على المجتمع. إن الطفل الذي يتعلم ثقافة مجتمعه يتعزز ارتباطه بالانتماء لمجتمعه.

2- **دمج الطفل في المبنى الاجتماعي**: بما أن الطفل يكتسب خلال التنشئة الاجتماعية المراكز والأدوار ويطور هويته الشخصية عن طريق وكلاء التنشئة، لذلك يندمج الطفل في المبنى الاجتماعي ويلائم نفسه لاحتياجات المجتمع. يتعلم الطفل كيف يتصرف كابن، أخ، جار..... تتواصل عملية الدمج في المبنى الاجتماعي على مدار حياة الفرد من الطفولة إلى الشيخوخة.

3- **الرقابة الاجتماعية**: تلعب التنشئة الاجتماعية دوراً مهماً في الرقابة الاجتماعية والضبط الاجتماعي. في المجتمع التقليدي توجد رقابة اجتماعية شديدة لأن القيم والمعايير فيه تعتبر مقدسة، لذلك يستعمل وكلاء التنشئة عقوبات ضد من ينحرف عن القيم والمعايير خاصة وأن العلاقات فيه أولية داخل مجموعات صغيرة وأماكن سكن قروية يعرف الناس فيها بعضهم بعضاً.

هذا لا ينفي وجود رقابة اجتماعية أيضاً في المجتمع الحديث. يرى المنهج الوظيفي أن

التنشئة الاجتماعية تضمن الامتثال الاجتماعي والمحافظة على حدود المجتمع واستقراره. أما منهج الصراع يرى أن الرقابة الاجتماعية تهدف إلى إسكات الأصوات المعارضة التي تنادي بالتغيير الاجتماعي وتهدف إلى ضمان الامتثال للقيم والمعايير الاجتماعية.

وما أجمل عبارة: "إن وراء كل رجل عظيم أبوين مربيين".

ثامنا: الأدوار الإيجابية المتكاملة للآباء وأثرها على تربية القائد الصغير:

تعتبر الأسرة من ركائز المجتمع، فهي في حد ذاتها مؤسسة منظمة، تقوم بتلبية حاجات أفرادها، من تربية ورعاية وغيرها، كما أنها **بمثابة المدرسة التي تقوم بتخريج عددا من الأفراد المتسمين بخصال قيادية متميزة.**

لهذا فإن الأسرة تعد من أهم وأبرز المؤسسات الاجتماعية التي ترعى وتحتضن الطفل وتعمل على تربيته وإرشاده والسهر على توفير ظروف العيش الكريم وتراقب أداءه وسلوكياته وردود أفعاله إزاء الأحداث، وتضبط تصرفاته بالتربية والتلقين وتأخذ سندها من أجل ذلك من قواعد المجتمع والأخلاقيات الكونية والدين، وتعد الأم والأب من أبرز المدربين داخل مؤسسة الأسرة، فكلاهما يؤديان دور القائد وكل طرف منهما يقوم بدوره داخل هذه المؤسسة لتحقيق التوازن وعدم الإخلال بنظام التربية والتنشئة الأسرية.

وتأسيساً على ما سبق، فإن مشاركة الأب والأم في التنشئة الاجتماعية للطفل هي مشاركة واجبة ولازمة، إذ لا يغني أحدهما عن الآخر، ويشكلان معًا، بالإضافة للأبناء، **هيكل السلطة في الأسرة** من خلال مسئوليات كل طرف، وهو الهيكل أو البناء الذي لا يكتمل إذا تخلى أحد الأطراف عن واجباته، فالرعاية مسئولية الوالدين معًا وكلاهما **"مسئول عن رعيته "**.

ومن هذا المنطلق إذا غاب أحد الطرفين سيؤدي هذا الأمر إلى حدوث مشاكل ذات طبيعة نفسية واجتماعية كوقوع شرخ في العلاقة بين الأبناء والوالدين بسبب غياب التواصل الفعال الإيجابي بينهم، مع عدم قدرة الأم لوحدها أو الأب لوحده تحمل مسؤولية الأبناء، كما أن الغياب ليس **غيابا ماديا** فحسب ولكن **غيابا معنويا** أيضا، بمعنى

أن في كثير من الأحيان تكون العلاقة بين الوالدين والأبناء جافة خالية من المشاعر الصادقة والتفاعل السلوكي القويم، لهذا يجب على الوالدين أن يعيا أمرا في منتهي الأهمية وهو أن دورهما لا يقتصر فقط على التربية وإصدار الأوامر ومراقبة الأبناء ومعاقبتهم **ولكن دورهما صار تخريج قادة قادرين على تحمل المسئولية**، في جو من الحوار البناء والنقاش الفعال حيث، ينصت جميع أفراد الأسرة ويتبادلون الأفكار ويكتسبون مهارات جديدة.

لهذا يستوجب الأمر تأهيل الشباب والفتيات المقبلات والمقبلون على الزواج وكذا تأهيل الأزواج وتوعيتهم بأهمية الأسرة ومدى تأثيرها على المجتمع وتدريبهم في كيفية التعامل مع أبناءهم في السنوات العمرية الأولى ثم مرحلة المراهقة فيما بعد. **وسنكون بذلك قد حققنا نحن كأفراد رهان بناء جيل قيادي مسئول وواع بأدواره داخل المجتمع.**

أدوار الأب التربوية

إن أدوار الأب التربوية لا تقل أهمية عن أدوار الأم ولعل دراسة الآثار الناجمة عن غيابه بطريقة طبيعية دائمة كالموت، أو عن طريق الانفصال، يدعونا للحديث عن أهمية وجود الأب في أسرته وقيامه بدوره التربوي مما يزيد من فرص احتكاكه بطفله خصوصا إذا كان هذا الأب يبذل جهده ليكون الوقت الذي يقضيه مع طفله وقتا ممتعا.

وتبدأ العلاقة بين الطفل وأبيه واضحة في السنة الثانية من عمره أين يتعلم النطق والكلام والمشي وتتبع خبراته بالوسط الأسري ويزداد انتباهه إلى أبيه وأشارت كتابات "فرويد " إلى أهمية دور الأب في ارتقاء شخصية الطفل ونظريته حول عقدة " أوديب " على الصراع بين رغبة الطفل في أمه وشعوره في نفس الوقت بمنافسة أبيه، وأن أساس نجاح نمو شخصية الطفل يتوقف على حل هذا الصراع وكلمة الأبوة ليست مجرد فقط الشعور بالمحبة والحنان اتجاه الطفل فهي أوسع من أن تشمل أداء الطفل بضروريات الحياة اليومية فالأب هو الذي يُشعر طفله بالحب الكافي منذ طفولته المبكرة بتدعيم علاقات المداعبة والمصاحبة وأن يكون في اتصال دائم معه حتى يبعث أجواء الاستقرار النفسي في طفله وأن يظهر اهتمامه بهوايته الخاصة وينصت إلى أخر وهو يقص عليه مغامراته اليومية، ويبدي تعجبه من حركة أو كلمة نطق لها القائد الصغير فيتمتعان بوقت طيب لا ينسوه.

إن مشاركة الأب في التنشئة بشكل فعال مهمة جدًّا لاستقرار نفسية الطفل، بل إن الخلل في العلاقة بين الطفل وأبيه كما أثبتت بعض الدراسات قد تؤدي إلى نمو شخصية سلبية لا تشعر بجدوى المشاركة في الحياة السياسية نظرًا لعدم جدوى المشاركة في الحياة الأسرية التي يستبد فيها الأب، وسيادة نظرة يائسة من أي تغيير وفاقدة الثقة في القدرة على التأثير في مجريات الأمور العامة.

يأخذ غياب الأب عن عملية التنشئة صورًا مختلفة، فقد يكون غيابا تامًا فيما يسمى بالأسرة **"الأم فقط"** أو **"الأسرة الأموية"**، أي الأسرة التي تتولى الأم بمفردها تنشئة الطفل وهو مفهوم يختلف عن مصطلح الأمومة أي سيطرة الأم مع وجود الأب، وغياب الأب عن ساحة الأسرة بشكل عام؛ وعن ساحة التربية بشكل خاص له عدة أسباب متراكبة متشابكة لا يمكن فصل أي منها عن الآخر.

دور الأب قديما

الدور الحقيقي للأب في حياة الأسرة قديما كان منحصرًا في أداء الواجبات المنزلية والاحتياجات المادية، وتأمين الدخل المادي وحماية الأسرة وتوفير اللوازم الأساسية، ولم يكن هناك احتكاك بين الأب والأبناء، وما ينتج عن ذلك من آثار سلبية على حياة الأطفال وتربيتهم، فكان الأب يجهل الكثير عن الأبناء، فكانت نتائج الإهمال والتجاهل تظهر جليًا عندما يكبر الطفل.

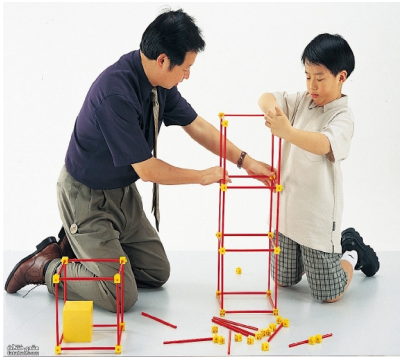

دور الأب الآن

أما اليوم فقد تعدى ذلك بكثير، ليكون **للأب الدور المعنوي** الكبير في تربية الأطفال وإعدادهم وفق طرق وأساليب علمية تربوية منهجية، تقوم على معرفة متطلبات الطفل ومراحل نموه والمؤثرات النفسية وكل ما يتعلق بسيكولوجية

الطفل، وكبر طموح الآباء في بناء جيل قويم يتمتع باستقلالية نسبية، يعتمد على نفسه، ويحس بمسؤولياته، وهو مازال في السنين الأولى من عمره، فصار يمضي جل وقته قريبًا من أطفاله، يصغي لهم ويلبي طموحهم، ليودع بذلك مرحلة سيطر فيها الجهل على سلوكه، **فالسنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل مهمة خاصة على مستوى النمو الجسدي وعلى المستوى التربوي، لذا فإن وجود الأب كمعلم وتربوي في حياة القائد الصغير يعتبر من العوامل الضرورية في تربيته وإعداده.**

فإذا كنت تريد من ابنك أن يكون منظماً ومرتباً، ودقيقاً في مواعيده، وحازماً في إنجاز أموره، وأنت تعيش الفوضى وتمارسها ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: 44]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ ﴾ [الصف: 2]. كن قدوة في نفسك، مرتباً في عملك، يرى منك ابنك في تعاملك معه ما تطالبه به، ويجدك في تعاملك مع الآخرين أسوة ومثلاً، إذا كنت كذلك فسترى ما يسرك.

الأب وتكوين ضمير الطفل

يقلق الآباء وينتابهم الشك في تربيتهم لأبنائهم عندما يخرج الطفل عن طاعتهم وعن حدود الأدب واللياقة وتفشل كل الوسائل في إعادة الطفل لما كان عليه من قبل.

ويجد الآباء أنفسهم حائرين في اختيار طريقة التعامل المناسبة مع أطفالهم، وبنفس الوقت، إذا حاول الآباء السؤال عن سلوك طفلهم في المدرسة أصيبوا بالدهشة فهو طفل نشيط، مهذب، لبق، نظامي، له علاقات اجتماعية ناجحة، **والسؤال هنا لماذا هذا التناقض في السلوك بين المنزل والمدرسة؟**

قد يرجع هذا التناقض إلى سلوكيات الآباء أنفسهم دون أن يدروا بذلك، فكثيراً من الأحيان ينبه الأطفال آباءهم إلى بعض الأخطاء التي يرتكبونها، فقد نعبر الشارع دون الاكتراث بإشارات المرور فنجد طفلاً يقول: لقد خالفت إشارة المرور يا بابا إنه من الخطر أن تفعل ذلك، وليس سراً إذا قلنا إن الكثير من الآباء يرفضون تعاليم الصغار وهذا خطأ كبير، لذلك على الآباء **الاعتراف بالخطأ** لأن هذا يسعد الطفل ويقوي في أعماقه القدرة على الضبط الذاتي ويجعله مسروراً لأنه يتعلم أن الكبار ليسوا المصدر الأساسي الذي يلقي بالتعليمات، إن **ضمير الطفل ينمو بالاعتراف بالخطأ** عندما يخطئ فعلاً لأن الطفل يبدو هنا كالقاضي الذي لا يقبل أي مخالفة لقانون الضمير والعالم عنده أبيض أو أسود، والضمير أساس في عملية نمو الطفل.

وتأسيسا على ما سبق، فإن الطفل يحاول بشتى الوسائل أن يستقل عن أسرته ويحاول أن يرضي الله سبحانه وتعالى في أفعاله، يقبل فكرة مراقبة الله سبحانه وتعالى له أكثر من تقبله لأفراد أسرته ويجد في قواعد الدين ما يؤكد له شخصيته وتبدأ عبادة الله كأساس هام من أسس تكوين شخصيته المستقلة عن والديه. لذلك على الآباء أن يكونوا قدوة حسنة في سلوكهم أمام أطفالهم حتى يساعدوهم على تكوين الضمير، وكما يقول المثل الشائع بيننا " **الطفل ضمير والديه** ".

ومن هذا المنطلق، فإن مصادقة الأب لطفله ومساعدته له عند الحاجة دون اللجوء إلى القسوة، والتعامل مع الطفل على أنه شخصية مستقلة ينمي في الطفل الإحساس بالمسؤولية والكرامة ومعرفة الصواب والخطأ، وكلما عُومل الطفل على أنه كائن مستقل كلما استجاب لما يطلب منه كالاهتمام بنظافته واحترام المواعيد وإتباع السلوك المهذب والقيام بواجباته، والتعامل الجيد مع المجتمع.

أدوار الأم التربوية

"أمي هي التي علمتني، لأنها كانت تحترمني وتثق في.أشعرتني أنى أهم شخص في الوجود، فأصبح وجودي ضروريا من أجلها وعاهدت نفسي أن لا أخذلها كما لم تخذلني قط "

إديسون

تعتبر الأم مصدرا للحب والحنان والعطف بالنسبة للطفل، حيث خصها الله سبحانه وتعالى بهذه الغريزة السامية، قد يجعلها أجدر من غيرها على تربية أطفالها ورعايتهم، حيث تعد أول شخص يتفاعل معه الطفل ليتعلم منه، لأنها تزوده بالرعاية منذ ولادته وهذا يعود لطبيعة الوظيفة البيولوجية للام، فهي التي تلبي حاجاته البيولوجية وبعد حاجاته الأولى التي بدأ يكتسبها في محيطه، فقد حددت الفطرة إشباع حاجات الرضيع إلى الأم، ارتبطت مع ذلك الإشباع وجود الأم بالقرب من ابنها وبدئه في التعلم والاكتساب منذ أن بدأت الأم في إشباع حاجاته من رضاعة وتنظيف ووقاية من البرد والحر والمرض فتخلصه من آلامه وتسبب في راحته.

وتأكيدا على ما سبق، فلقد توصلت دراسة أمريكية حديثة إلى أن الأم الحانية التي تقبل طفلها تمنحه فوائد صحية أكثر مما تتخيل، مؤكدة أن خبرات الطفولة المبكرة يدوم أثرها على الصحة، وأوضح علماء النفس والتربية أن الطفل المشبع من الحنان والحب والعاطفة يكون أكثر استقراراً نفسياً، وأكثر ثقة بنفسه، وأكثر قدرة علي العطاء والإبداع، وأقل تعرضاً للمشاكل التربوية والاجتماعية والنفسية حتى حين يكبر.كما يصبح أكثر امتلاء بالعاطفة والحب، وبالتالي يكون معرضا أقل بكثير من غيره للانحراف الأخلاقي الناتج عن الفراغ العاطفي.

" الأم التي تهز السرير بيمينها، تهز العالم بيسارها ".

نابليون

وبكل تأكيد تختلف طريقة الأم في معاملتها لأبنائها بين الشدة واللين، ولكل طريقة حسناتها وسيئاتها ولكن المهم في هاتين الطريقتين هو درجة ثبات كل منهما والتوفيق بينهما، ونجد أن الأم تتبع عدة طرق لمعاقبة ومكافأة أطفالها.

وما هو مؤكد أن الأمومة الرشيدة تعد الركيزة الهامة في حياة الطفل ومن مقومات صحته النفسية فهي لا تقاس بطول المدة التي يمكن أن تقضيها الأم مع ابنها وإنما تتوقف على تقوية العلاقة بينهما، فتكون علاقة حب وعطف ومودة وحنان، وتلبية حاجات الطفل بشكل طبيعي فلا إفراط ولا تفريط.

وقد أجريت دراسات حول **"أثر قيام الأم بمفردها بعملية التنشئة داخل الأسرة"** وأوضحت النتائج: أن ذلك ينعكس بالسلب على شخصية الطفل بسبب عدم توازنها، وهو ما يظهر في **غلبة السلوك الطفولي** عليه حتى مع نموه في مرحلة المراهقة وميله إلى الاعتماد على الآخرين والخضوع لهم، كما يؤدي أحيانًا إلى العكس أي اتّصاف الطفل بالسلطوية، مع ملاحظة وجود فوارق بين الجنسين.

تلعب الأم دوراً أساسياً وجوهرياً في الحياة الأسرية فهي تعد رأس المال البشرى الذي يفوق في أهمية أي شيء آخر. وهى المنظم لحركة الأسرة وفى حالة غيابها لأي سبب لا تستطيع الأسرة أن تعيش بنفس الكفاءة، فأدوار الأم متعددة في إشباع حاجات الأسرة المادية والنفسية وإنجاب الأطفال وتربيتهم وكذلك العمل داخل المنزل وخارجه.

وبالرغم من أن **الأم هي الأساس في حياة الطفل** منذ الولادة فهي التي أنجبته، إلا أن دور الأب يبقى مهمًا من نوع آخر، فيقدم الحنان الأبوي ويسهر على حياة الطفل ويحميه من كل أذى بالتواصل معه والعيش قريبًا منه؛ فينمو الطفل ويكبر على أسس تربوية سليمة، **وبالرغم من أن الأدوار التي يؤديها كل من الأب والأم مختلفة، إلا أنها تبدو مهمة للبناء التربوي للقائد الصغير**، حيث تظهر الأم الهدوء والحنان تجاه سلوكه، ويقوم الأب بدور النشاط والحيوية اللازمين لينهل منهما القائد الصغير.

وتبقى الأم في جواره فترة أطول وتقدم له كل ما يحتاجه من وسائل الرعاية والخدمات

الضرورية، فإن دور الأب خرج من الإطار التقليدي للأبوة وفق النموذج القديم، ليؤدي الأب دورًا متميزًا تجاه الطفل، ويسخِّر له أوقات فراغه، ويقيم معه علاقات صلبة من اليوم الأول لولادته، فيحميه ويتعرف على متطلباته اليومية والتربوية.

فالأم بمثابة غرفة التحكم التي من خلالها يتحرك الطفل، فهي التي تغرس فيه معالم المستقبل، وتأخذ بيده إلى طريق النجاح، خاصة إذا كانت هذه الأم تعرف ملامح الطريق وترعى بيتها رعاية متكاملة، لذا يجب:

1- تولي الوالدين مسؤولياتهما كاملة تجاه أبنائهما في التربية والتحصين والتنشئة.

2- وأيضا تجنب التمثيل وارتداء الأب القناع الحنون، وارتداء الأم القناع الحازم أو العكس بهدف تعويضً الطفل نفسيًا، فسرعان ما سيكشف الطفل زيفه، في زمن النباهة وسرعة البديهة.

وهذه بعض الطرق التي تسهم في تكامل المشاركة الفعلية للوالدين في مهام تربية القائد الصغير هي:

1- **العلاقة المستقرة بين الأب والأم،** ونعني بها علاقة الألفة والحب، بما يتضمنه ذلك من الزوجين ببعض الصفات الأخلاقية التي تكفل العيش الهانئ مع الطرف الآخر كالرحمة والإيثار والتعاطف والمسئولية.

2- **وجود أهداف مشتركة بين الزوجين،** وتشاركهما في تنفيذ هذه الأهداف.

3- **توافر مهارات الاتصال الفعال بين الزوجين،** بما تتضمنه من مهارات التحدث والإنصات.

4- **قبول مشاعر كل من الطرفين للآخر**، والتعرف على الاحتياجات الشخصية لكل طرف، وكذلك التعرف على احتياجات الطرف الآخر والتعبير السوي والسليم عن هذه المشاعر والأفكار والاحتياجات.

5- **فطرة الأبوة ودرجة صقلها لدى الأب**، وكذلك معرفته بكيفية أداء هذا الدور بشكل فعال؛ فليس كل الآباء لديهم هذا الإحساس الفطري بدرجة واحدة وبكيفية واحدة، فكل أب أملت عليه ثقافته وبيئته مفردات دوره، وليس الجميع لديه نفس الجرأة على التغير لصالح ما عرف. ولكن ربما مما يزيد من هذه القدرة على التغير والنضج قوة العلاقة الزوجية؛ وما يتعرض له الأب من خبرات وما لديه من تقدير للأمانة وما لديه من هدف واضح وأمل محموم في أولاده.

6- **التأهيل الوالدي**، أي معرفة دور الأب الحقيقي في حياة أطفاله منذ ولادتهم، وتدريب الأب على كيفية الرعاية والقيام بهذا الدور في حياة أطفاله.

7- **ضيق الوقت الحقيقي والممكن** الذي يقضيه الأب في البيت بسبب سفره أو عمله، إلا أن هذا ممكن أن يدخل في دائرة الممكن إذا ما توافرت بقية العناصر؛ من وجود شخصية الراعي المسئول؛ ووجود العلاقة السليمة بين الزوجين؛ ووجود الهدف المشترك الواضح وترتيب الأولويات بشكل سليم. فحينها يمكن بالإدارة الجيدة للوقت الاستفادة بكل دقيقة فيما يثمر.

وتشير نتائج أحدث الدراسات التربوية بالولايات المتحدة الأمريكية إلى **مدى تأثير الحالة الاجتماعية وحضور الآباء الفعال على تقدم الأطفال في الأسرة في مراحل التعليم المختلفة بداية من فترة الحضانة الأولى**. فالأطفال الذين ينحدرون من عائلات ثنائية العائل، أب وأم، وُجِد أنهم يتمتعون بقدرات أفضل فيما يتعلق بالقراءة والكتابة، وإجراء العمليات الحسابية عن أقرانهم الذين نشئوا في كنف عائلات أحادية العائل، عائلة بدون أب، حيث تتحمل الأم هنا كافة الأعباء النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

كذلك تشير نتائج البحث إلى أن الأطفال الذين ينحدرون من عائلات هجرها الأب وتقوم الأم بمهام العائل الوحيد، يفتقدون إلى بعض القدرات التعليمية التي يتمتع بها

أقرانهم الذين ترعرعوا في كنف الأسر ثنائية العائل من الأب والأم، فمن هذا نرى أن قدرات هؤلاء الأطفال على تمييز الأشكال وعد الأرقام من 1 إلى 10 مثلاً، بالإضافة إلى ضبط الحروف الأبجدية للغة تقل بشكل كبير مقارنة بأطفال العائلات ثنائية العائل.

الخلاصة

تأسيسا على ما سبق، لكي يتبنى الطفل السلوك الملاحظ لا يكتفي بالتقليد، ولكن لابد من أن يتوحد مع الشخصية التي يقلدها، وهنا مكمن الخطورة بالنسبة للأب أو الأم غير الواعيين بالأثر الذي تتركه تصرفاتهما في نفس الطفل، والدور الذي تقوم به (الأم مثلا) هي في تشكيل شخصيته في جانبها الاجتماعي، معتقدة أن التوجيهات والأوامر والنواهي التي تصدر منها لأطفالها كفيلة بأن تجعل منهم أطفالا ملتزمين بقيم المجتمع ومبادئه؛ فتقول مثلا "لا تكذب" أو "لا تكن كسولا " أو"مهملا "، وهي وكل من حول الطفل يكذبون ويتكاسلون عن أداء واجباتهم على مرأى ومسمع من الطفل الذي ينقاد وراء السلوك الملاحظ، وكأنه لم يسمع تماما ما قيل له من باب النصح والإرشاد وتقويم السلوك.

وفي ضوء ما سبق، إذا كانت حياة الوالدين، الزوجية والأسرية، سليمة وتتسم بالتكيف الإيجابي، القائم على الحب والهدوء والتفاهم، وأداء الأدوار الإيجابية المتكاملة، كانت تربية الأبناء تربية سليمة خالية من القلق الشخصي والاجتماعي، أما إذا كانت حياة الوالدين قائمة على التناقض الاجتماعي والفكري والنفسي، فإن ذلك يؤّثر سلباً في أدوارهما التربوية تجاه الأبناء، فيعانون مشكلات نفسية عديدة تضعف من تكيفهم الشخصي وكفاءتهم الاجتماعية.